الخطبة السادسة

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

إن أول أركان الإسلام أن يقول المرء: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومن قالها بحق خالصاً مؤمناً مصدقاً غير شاك بها، يَكفُر بما يُعبَد من دون الله؛ شهدنا له بالإسلام، قال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرَّم الله ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» رواه مسلم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عنه الجنة» البخاري.

وما أريده هو: كلمة (أشهد) وهي كلمة تأتي من المشاهدة، أشهد أي رأيت بأم عيني، أنا شهدت حادثاً وقع، أي كنت هناك ورأيت الحادث، فقولي: أشهد أن لا إله إلا الله، هل معناه: أني رأيت الله عز وجل؟ هل شاهدته بعيني؟ الجواب: لا ... عندي وعند كل البشر حتى الأنبياء، لا لم ير أحدٌ الله سبحانه، فكيف تقول إذن: أشهد؟ وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: 3/ 18]، ولشرح ذلك بإذن الله وتوفيقه أقول:

إن العين لما رأت – وهي حاسة من الحواس – ولا بد للعقل أن يعي ما تراه العين، فيدرك العقل مع حاسة البصر.

وحاسة البصر هي حاسة من الحواس، وكذلك يدرك العقل ما يدركه مع حاسة السمع واللمس والرائحة، فمثلاً نقبل شهادة الأعمى على الأقوال، إذا استمع إلى اثنين في إبرام عقد نقبل شهادته، وهو لم يرَ ولكن سمع، فتقبل شهادته، وكذلك يوقف الشرطي إنساناً فيشم منه رائحة الخمر فيسوقه إلى السجن، ويقبل القاضي شهادته ولو أنه لم يرَ السائق يشرب الخمر، ولكن الشهادة قبلت بحاسة الشم، وندرك بالعقل أشياءً مع حاسة الذوق مثلاً، فبلساني أستطيع التمييز بين الفاسد وغير الفاسد ما أريد أن أخلص إليه: أن الشهادة – وهي ليست بالعين وإنما ببقية الحواس – عندما أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، علمت وأدركت وتيقنت بعقلي وبحواسي بأنه: لا إله إلا الله، وقد يُدرِكُ العقل أموراً من غير الحواس، فمثلاً: أنت وأنا والناس كلهم، يعلمون ويدركون ويقبلون: بأن الثلاثة أكثر من واحد، والخمسة أكثر من اثنين وهذا بديهي، لذلك لما سُئل الأعرابي عن الله سبحانه فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير؟! لذلك قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: 47/ 19]، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ ﴾ أي استخدم عقلك وحواسك وفكرك، حتى يتحقق لك أنه لا إله إلا الله ولماذا؟ حتى عندما تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، تقولها بقناعة، تقولها بعلم وبدون شك، ويحصل عندك اليقين.

وعلمنا الله تعالى وأرشدنا إلى التفكر والنظر حتى يتحصل عندنا اليقين. فقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: 7/ 185]، وقال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: 50/ 6]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: 88/ 17 – 20]، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 29/ 20].

والآيات كثيرة جداً في القرآن الكريم؛ وذلك كي تتمكن من معرفة أنه لا إله إلا الله، وتصبح عندك يقيناً، وبذلك تتحقق عندك مقولة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأحب أن أقول بأن العلم يُدْرَكُ بواحدة من أربعة أشياء أساسية وهي:

1 – العقل بانفراده، كما بينت أن العقل يدرك أن الاثنين أكثر من واحد.

2 – العقل مع الحواس، وقد شرحت ذلك.

3 – ويحصل العلم بالأخبار المتواترة؛ لأنه بالأخبار المتواترة يصعب اتفاق الناس وتواطئهم على الكذب، فإذا اختلفت الأخبار – ولو كَثُرت – فلا تُعدُ متواترة؛ لعدم تطابقها مع بعضها، أما الأخبار المتواترة فهي التي أتت من قنوات ومصادر متعددة تصف نفس الحدث وتطابق بعضها بعضاً.

4 – العلم المدرك بالنظر والاستدلال والقرائن.

وهذا كثير – خاصة في عصرنا الحاضر – حتى أننا بالبصمة الوراثية (DNA) نستطيع أن نحدد الولد لأبيه وعائلته، وبالبصمات نحدد المجرم، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهد أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قاء خمراً فقال له عمر: أتشهد أنه شربها؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أشهد أنه قاءها، فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: فلا وربك ما قاءها حتى شربها.

فشهادة: أن لا إله إلا الله إقرار بالتوحيد، وأشهد أن محمداً رسول الله إقرار

بالرسالة، والإيمان بشهادة أن محمداً عبده ورسوله قد حصلت بالأخبار المتواترة، وحصلت بالعلم المدرك بالنظر والاستدلال والقرائن، وهذه كلها أوصلتنا إلى أن نشهد به عليه الصلاة والسلام للمعجزات الثابتة والأخبار الثابتة والحقائق الثابتة، والتي جعلت كثيراً من الناس والعلماء - وأكثرهم من الأجانب - يسلمون، لما رأوا من الحقائق والدلائل الثابتة على صدقه ونبوته ورسالته، وأن ما أتى به من المعلومات والحقائق التي لم تكن موجودة في العلم الإنساني في وقته، تحدث عنها رسول الله ﷺ، أو تحدث عنها القرآن الكريم، وأصبح هذا مما لا شك فيه حتى عند الكافرين.

ولكي أدلل على الذي أقول من المعجزات القرآنية، إلى جانب معجزة التفصيل في خلق الإنسان وأطوار الخلق كما جاء في سورة المؤمنون وكما جاءت به السنة، عن النبي ﷺ قال: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها» مسلم.

وقد جاء العلم الحديث ليثبت ذلك بالتحديد، فالحمد لله على دينه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 4/ 82]، أعود إلى الشهادة فأقول: إنه لا بد من العلم وإقامة الحجة لي، حتى تكون شهادتي صادقة، لذلك لا بد من:

الشرط الأول: وهو العلم، العلم بمعناها، والعلم بما تدل عليه، والعلم بما يستلزم عليّ فعله نتيجة هذا العلم، ونتيجة شهادتي بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، لذلك قال تعالى آمراً بالعلم لأنه يريد مني شهادة حقيقية يقينية قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: 47/ 19]، والله تعالى لا يقبل شهادة من غير يقين، لقوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: 43/ 86]، يجب أن تعرف وتفهم وتؤمن بالشهادتين لذلك قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» رواه البخاري، يجب أن يعلم.

الشرط الثاني للشهادة هو: اليقين المنافي للشك، اليقين الجازم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: 49/ 15]، الريبة والشك ينفيان الشهادة، والشك والريبة يورثان النفاق.

والشرط الثالث: القبول لهذه الشهادة وما تحويه وما تتضمنه وما تؤدي وتؤول إليه، فإذا آمنت واقتنعت بأنه: لا إله إلا الله أي: لا معبود ولا مطاع ولا مشرع ولا أحد يُضحَّى من أجله وفي سبيله إلا الله، فإذا قبلت الشهادة فالتزم بها، لذلك لما جاء أبو عمرو سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قل لي يا رسول الله قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال عليه الصلاة والسلام: «قل آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم.

الشرط الرابع: الانقياد، وقد فرق العلماء، فقالوا: القبول العقلي، والقلبي، والفكري، ثم قالوا: الانقياد بالأفعال والأعمال، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: 39/ 54]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 4/ 125]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: 31/ 22]، والاستسلام هو الانقياد والطاعة والتطبيق.

الشرط الخامس: وهو الصدق، الصدق المنافي للكذب، المنافي للنفاق، وقد يمتحن الإنسان حتى يبرهن عن صدقه، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 29/ 2 – 3]، والحمد لله فقد قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه على النار» متفق عليه.

الشرط السادس: الإخلاص، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: 39/ 3]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: 98/ 5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أسعد الناس بشفاعتي: من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه» البخاري.

الشرط السابع: المحبة، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» متفق عليه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 2/ 165].

الشرط الثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: 2/ 256]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم الله ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عنه الجنة» البخاري.

نقطة مهمة جداً وهي: أن دين الإسلام مبني على أصلين عظيمين هما:

1 – تحقيق العبودية لله، 2 – تحقيق الاتباع لرسول الله.

وهذا يستوجب ما يلي:

1 – طاعة الله ورسوله فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 4/ 80].

2 – تصديقه فيما أخبر به عن الماضي والحاضر والمستقبل.

3 – تفضيل قوله على غيره من بني البشر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 53/ 3 – 4].

4 – التحاكم إليه والرجوع إلى قوله عليه الصلاة والسلام، «قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 4/ 65]».

5 – اعتقاد أنه لا نبي بعده عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 33/ 40].

6 – محبته ونصرته وموالاته، قال عليه الصلاة والسلام: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده» متفق عليه.

قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 157]، وآية الامتحان هي: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 3/ 31].

7 – الإيمان بإنسانيته وبشريته وبأنه مملوك عابد لله تعالى، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: 6/ 50]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 46/ 9]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾ [الأعراف: 7/ 203].

والإيمان بأنه رسول الله ﷺ لكافة البشر ولكافة الجن، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 7/ 158]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 21/ 107].

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسود» صحيح ابن حبان، وفي المستدرك: «أرسلت إلى الإنس والجن».

8 – وملخص الشهادتين: أقر بقلبي وأنطق بلساني: لا معبود إلا الله ولا يعبد إلا بما شرَّع الله في كتابه أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم